دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الدولة في فكر أفلاطون السياسي
المصدر:	مجلة الفكر السياسي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	المجيدل، عبدالله شمت
المجلد/العدد:	س 12, ع 39
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	خريف
الصفحات:	109 - 118
رقم MD:	456995
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	بناء الدولة ، الفلسفة اليونانية ، الفلاسفة والمفكرون ، أفلاطون ، 427 -347 ق. م، التراجم ، الفلسفة السياسة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/456995

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الدولة في فكر أفلاطون السياسي

B أ.د. عبد الله المجيدل b

"يجب ألا يملك الحكام ملكاً خاصاً لا بيوتاً ولا عقاراً ولا شيئاً آخر، بل يتناولون نفقاتهم من الأهالي جزاء عملهم".

"أفلاطون"

ولد أفلاطون 348 ق.م في جزيرة "أجينا" القريبة من أثينا، ويعود في أصله إلى أسرة نبيلة، يجري في عروقها دم الملكية، فمن جهة أبيه "أرسطون" يعود بصلة القرابة إلى كوردوس آخر ملوك أثينا، كما أن والدته بيريكيتون تنحدر من عائلة صولون المشرع الأثيني الشهير. لقب بأفلاطون نظراً لجبهته العريضة التي تدل على ذكائه[1].

وبعد وفاة والده تزوجت والدته من بيريلاميز، وجاء لأفلاطون شقيق اسمه أنتيفون والذي يظهر في محاورة بارمنيدس، وقد كان زوج أمه أيضاً من عائلة عريقة، وبذلك كانت نشأة أفلاطون في بيت وفر له أفضل التعليم في مرحلة ازدهار اليونان ثقافياً.

تلقى أفلاطون دروسه الأولى عن السفسطائيين وعن أقراطيل، تلميذ هرقليطس، وعندما ناهز العشرين، لازم سقراط حتى وفاته. ولقد شكل هذا اللقاء نقطة تحول في تاريخ أفلاطون، حيث بقي تلميذاً وصديقاً لسقراط، مأخوذاً بسعادة حوار سقراط الفلسفي. في الثالثة والعشرين من عمره اغتصب بعض أهله السلطة بمساعدة اسبرطة، فعرضت عليه مناصب هامة، ففضل الانتظار، وطغى الأرستقراطيون وقتلوا خصومهم وصادروا ممتلكاتهم، ثم ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم، فأشاعوا الفساد في المدينة، وقد استطاع الشعب أن يهزمهم وانتصرت الديمقراطية، وهنا أراد أفلاطون أن يسهم في ترسيخ العدالة في بلاده ولكن سرعان ما أتت الديمقراطية على كل ما تبقى من الفكر فأعدم سقراط ومن ثم يئس ولذا أفلاطون من السياسة، وذهب إلى أن الحكومة العادلة لا تحكم البلاد ارتجالاً، وإنما يجب أن يمهد لرجالها بالتربية والتعليم، فأنفق حياته يفكر في النظام السياسي من خلال الفلسفة[2]، ولم يجد خلاصاً من حالة الفساد إلا بالتربية فإصلاح الدولة لا يتم إلا من خلال إصلاح الإنسان أولاً وهذا منوط بالتربية.

لقد تركت نهاية سقراط الأليمة آثارها في أفلاطون، كما أن جهوده في تخليص سقراط في أثناء محاكمته، جعلته في موضع شك من قبل الديمقراطيين فنصحه أصدقاؤه بمغادرة أثينا، فأمضى اثنتي عشرة سنة متجولاً في

---

[1] نجار، رمزي: الفلسفة العربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 23.

[2] محمد علي، ماهر: الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 160.

عدد من البلدان، حيث سافر إلى ميغار وكريين، وهناك درس الرياضيات، كما سافر إلى مصر وإيطاليا حيث اطلع على التعاليم الفيثاغورثية. كما أقام فترة وجيزة في صقلية، إلى جانب دنيس القديم، لكنه اختلف معه، فقام هذا الأخير ببيعه كعبد، وما لبث أن اشتراه رفاقه وأعادوا تحريره، لكي يعود إلى الاستقرار في أثينا ليؤسس مدرسته (الجيمناز أو الأكاديمية)، وابتداءً من هذه الفترة باشر أفلاطون التعليم والكتابة، مكرساً حياته لهاتين المهمتين، فعاش حياته في هدوء، وكانت وفاته أيضاً في هدوء، حيث دُعي من قِبل أحد تلامذته ليشارك في حفل زواجه، فجاء الفيلسوف ذو الثمانين عاماً وشارك بسرور، وبعد ساعات من المرح لجأ إلى زاوية هادئة من البيت وجلس على كرسي ليأخذ قسطاً من النوم، ولكن عندما جاء أهل البيت في الصباح ليوقظوه وجدوه قد تسلل خلال الليل بهدوء إلى نوم أبدي، وكان ذلك عام 348 ق.م، وسارت معظم أثينا في جنازته، ليسدل الستار على حياة أحد عمالقة الفكر اليوناني إذ يعد بحق المؤسس الأول لما يدعى بالمشروع الفلسفي، وأن العودة إلى تفاصيل حياته وفكره الفلسفي لا تعني العودة إلى مرحلة تاريخية مضى عهدها وانقطعت صلتها بالحاضر. فلا تزال نخبة من مفكري العصور الحديثة ترى في فلسفة أفلاطون الأساس الذي قامت عليه الحضارة الغربية بصورتها الراهنة[1].

فلسفته:

يعد أهم تأثير مباشر على أفلاطون، هو ما تركه فيه أستاذه سقراط، ودليل ذلك قوله: "شكراً لله لأنه خلقني يونانياً لا بربرياً، حراً لا عبداً، رجلاً لا امرأة وشكراً له لأنه خلقني في عهد سقراط".

فقد انطلق فكر أفلاطون من مناقضة أفكار المذاهب السابقة، فنراه يجيب هرقليطس الذي اعتبر الحقيقة في التغير المتواصل، حتى أنه لا يستطيع أن يستحم بماء النهر الواحد مرتين. كما يجيب عن نفي بارمنيدس لحركة الكون، فإذا به يوافق الأول في كون التغير يصيب كل شيء في العالم ولكن العالم الحسي فقط، كون أفلاطون كما سنوضح بعد قليل قد قال بعالمين اثنين: عالمنا الأرضي الحسي المتغير، وعالم المثل، وهو عالم الكمال الثابت أو عالم الله. أما ما قاله بارمنديس عن إلغاء الحركة فقد حاول أفلاطون أن يتجنبه قدر المستطاع[2].

إن فلسفة أفلاطون تعتبر قمة تطور الفلسفة اليونانية، إذ أنها تتطلع إلى العالم الأفضل بنظرة روحية ولديها الثقة بقدرة العقل الإنساني في الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

نظرية المثل:

تشكل المثل موضوع المعرفية في فلسفة أفلاطون، وهي صور مجردة للموجودات في عالم الإله وسماها المثل الإلهية. إنها لا تفسد ولا تتغير بل هي خالدة، أما لتغير والفساد فينال الموجودات الكائنة. فالمثل هذه مبدأ الوجود والمعرفة، فهي مبدأ الوجود لأن الجسم لا يتعين في نوعه إلا إذا شارك بجزء منه في مثال من المثل، وهي

---

[1] الجيوشي، فاطمة: فلسفة التربية، ط3، منشورات جامعة دمشق، دمشق 1994، ص 9.

[2] نجار، رمزي: الفلسفة العربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 24- 25.

مبدأ المعرفة لأن النفس لا تدرك الأشياء ولا تعرف أسماءها إلا إذ كانت قادرة على تأمل المثل. وقد أخفى أفلاطون فكرة الوجود الثابت الساكن على عالم المثل، فكل مثال ينطوي على ماهيته في صورة حقيقية ثابتة لا تتغير.

فالمثل هي الوجود الحقيقي في أسمى معانيه. أما عالم الحس فهو غير جدير برأي أفلاطون إلا بالتغير الهيرقليطي[1] وهكذا نجد أن هناك عالمين لدى أفلاطون، عالم العقل أو عالم الله حيث تسبح المثل المجردة، والمفاهيم الروحية، وعالم الحس أو الظل حيث تتجسد الصور وتصبح حسية معروضة للتغير والفناء. فعالم المثل هو العالم الحقيقي الذي يشتمل على الحقائق الثابتة، وقد تتمثل في عالم الحس بصورة جسمانية فتكون بمثابة الشخص الحقيقي وصورته في المرأة.

صورة المرأة الحسية هي خيالية تتغير بينما الأصل في عالم المثل هو صور مجردة، أو مفاهيم ثابتة تحرك الصور الحسية ولا تتحرك فتكون الحركة في عالم الحس والثبات في عالم المثل. إن المثل تشير إلى أ، الأشياء تشترك في حقيقة واحدة فمثلاً ننظر في الوجود الحسي فنرى وجهاً جميلاً، طبيعة جميلة، زهرة جميلة، عبارة جميلة، ونفهم أنه رغم اختلاف المواضيع هناك جامع مشترك هو مفهوم الجمال، المفهوم هذا هو الثابت كوحدة من المثل تسبح في عالم الحق بينما الأشياء الجميلة هي في عالم الحس وهي عرضة للتغير وليست ثابتة كمفهوم الجمال.

فالعالم المحسوس عالم حقيقي، لكن بالمشاركة فقط فهو مجرد نسخة أو ظل لعالم الأفكار والمثل[2]. والمثل هي الأسباب الحقيقية الكامنة وراء كل ما هو موجود. وبذلك فإن علة الشيء الجميل هي الجمال ذاته في مثال الجمال، وليس هناك علة أخرى سوى هذا، أو بمعنى أدق أن العلة الحقيقية لكل شيء هي مشاركته في مثاله، فبالجمال بالذات تكون الأشياء الجميلة جميلة وبالكبر بالذات تكون الأشياء الكبيرة كبيرة[3].

وهي الحقيقة المطلقة الثابتة وراء المحسوسات المتغيرة، وكان الفيثاغورثيون قد قالوا: إن الأشياء عبارة عن أعداد، فأعداد الفيثاغورثيين تقابل المثل عند أفلاطون، وهذا ما جعل أرسطو يرد طبيعة العلاقة بين المثل والأشياء عند أفلاطون إلى تأثره بالفيثاغورثيين في نظرتهم للعلاقة بين الأعداد والأشياء.

أما عن إدراك العقل لمثل أفلاطون، فهذا ما توضحه محاورة بارمينيدس إذ يرى أفلاطون بأن المثل ما هي إلا حقائق وصور توجد بذاتها ولذاتها مستقلة عن العقول التي تعرفها أو الأشياء التي تشارك فيها، إنها موجودة ومستمرة وثابتة غير متغيرة، تراها عقولنا عندما تصل إلى تعريف مطلق كلي لها، فمثلاً عندما نعتبر حقيقة العدالة

---

[1] محمد قاسم، محمد: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص 137.

[2] تبدأ المقالة السابقة في كتاب الجمهورية، بأسطورة الكهف. يقول أفلاطون: لنتخيل كهفاً، يوجد داخله سكان مقيدون منذ طفولتهم، بحيث لا يستطيعون الرؤية إلا في اتجاه واحد أمامهم. وفي خارج الكهف، يتجول الناس وهم يحملون أشياء تنعكس ظلالها على الجدار الداخلي للكهف (أمام الأشخاص المقيدين) إن علاقة هذه الأشياء بظلالها هي كعلاقة عالم المثل بالعالم المرئي الذي نراه.

[3] (فيدون) ترجمة النشار وعباس الشربيني، ص 75.

أو المساواة فإننا نتطلع إلى المعنى الكلي الشامل لحقيقة العدالة أو المساواة، وبذلك نذهب بتفكيرنا إلى صورة العدالة أو صورة المساواة لكي نصل إلى الحقيقة المطلقة، وهذا يعني أنه يوجد صور مطابقة لكل مطلق أو فكرة نفكر فيها. فالنفس ترتقي من سجن جهلها إلى العالم العقلي الأعلى، وهذا ما تؤكده أسطورة الكهف[1].

وهكذا نرى أن نظرية المثل عند أفلاطون تعبر عن الصورة الأولى للمذهب العقلي في المعرفة، فإن المعرفة العقلية عنده أو كما يسميها "المعرفة بالصور" سابقة على التجربة الحسية لأنها تتم بواسطة تذكر الحياة السابقة للنفس قبل اختلاطها بالبدن وتعلقها بالمادة والحواس[2].

نظرية المعرفة:

أصل المعرفة الحقيقية عند أفلاطون ينحصر في إدراك ومعرفة المثل. المثل هي الحقائق الثابتة والعقل بتجاربه الحسية يحاول إدراك هذه المثل. وصعوبة الإدراك تكمن في أننا قد نستخدم التجربة والإحساس للوصول إلى المعرفة والتجربة متبدلة بينما المثال ثابت، لذلك علينا تحكيم العقل بالوصول إلى المثل وهذا يتم بانتزاع الجوهر من الحسيات، في إطار التأمل والتذكر والانطلاق من الجزئي إلى الكلي[3]. فالمعرفة العقلية قائمة على التذكر، فالأشياء المحسوسة تذكرنا بالمثل كون المعرفة ظلت كامنة في نفوسنا رغم الاختلاط بالجسد. إذ أن أرواحنا قبل توحدها بالجسد قد استطاعت أن تتأمل المثل. أما العملية التي تقود العقل إلى معرفة المثل وهذا ما يسميه أفلاطون بالجدل الصاعد، ويتضمن الارتقاء الجدلي والذي يسير عبر مرحلتين، مرحلة الظن أو معرفة عالم المظاهر (العالم المحسوس) ومرحلة العلم أو معرفة العالم الواقعي (العالم المعقول) والمعرفة الضنية تقسم بدورها إلى مستويين المستوى الأعلى وهو الإيمان وموضوعه العالم المرئي ذاته. والمستوى الأدنى وهو الحدس وموضوعه عالم الظلال والأشباح الذي لا يمكن أن يكون موضوع معرفة حقيقية. فالعلم لا ينكب إلا على دراسة تصورات معقولة أي ما يسميه أفلاطون المعرفة العقلية وهي التصورات التي يودي الارتقاء فيها إلى فكرة الخير وهي التي تشكل أساس العقل عند أفلاطون[4]. لقد نقد أفلاطون كل منهج عبر عقلي يصل بنا إلى المعرفة، فهو يرفض كل النظريات التي تعتمد على الحواس ويجادل في محاولة ثياتيتيوس نظرية بروتاغوراس السوفسطائي بمعرفته الحسية، ومثل هذه المعرفة بنظر أفلاطون غير صحيحة.

لقد تأثرت نظرية أفلاطون بالمعرفة بتفكير ميتافيزيقي، لقد أراد أن يبين لنا أن عالم الأجزاء والحواس غير مقنع للمعرفة لأنه عالم متغير، بينما هناك عالم ثابت وشامل ومطلق هو عالم المثل.

---

(1) أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، بيروت، 1969، ص 187 وما بعدها.

(2) هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، القاهرة، 1956، ص 110.

(3) نجار، رمزي: الفلسفة العربية ، مرجع سابق، ص 29.

(4) مانتوي، جاك: مختصر تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 20.

النفس الإنسانية:

النفس الإنسانية عند أفلاطون، هي الأخرى مؤلفة من جوهرين، وكما أسلفنا سابقاً بأن النفس موجودة قبل اتصالها بالبدن، فجوهر النفس في عالم المثل وهو خالد وجوهر البدن في عالم الحس وهو فان، النفس ترتبط بعالم المثل فهي إذن أزلية وأبدية تبقى بعد الموت. وما النفس إلا توافق العناصر المؤلفة للبدن وليس لها وجود ذاتي، وإنما هي كالنغم بالإضافة إلى الآلة والأوتار. والنفس تدير البدن، وتتحكم في الأعضاء وتقاوم البدن بالإرادة متى كانت حكيمة، ولم يكن ذلك ليتأتي لو كانت النفس نتيجة تناسق عناصر البدن وطبائعه، فهي تتجاوز النغم بل هي الموسيقى الخفي الذي يحدث النغم. وعلى ذلك فالنفس حقيقة لا ريب فيها، يدل على وجودها تذكر المثل وحركة الجسم وتدبيره بمقتضى الحكمة[1].

ويقسم أفلاطون النفس الإنسانية إلى ثلاث قوى: القوة الشهوانية ومركزها الكبد وهي ما يلتصق بالشهوات الجسدية الحسية، وظيفتها الغذاء والتكاثر، وبما أنها تتحرك نحو مثال من الفضائل، فضيلتها العفة. أما القوة الغضبية فمركزها القلب، وتلتصق بالغريزة النبيلة والشريفة، تحافظ على مروءة الإنسان وتتحرك نحو فضيلة الشجاعة. والقوة العاقلة ومركزها الرأس، وتلتصق بالتأمل والتفكير، وظيفتها السيطرة على القوة الغضبية والقوة الشهوانية وتتحرك نحو فضيلة الحكمة.

وكما أن ترتيب الوجود قائم من أسفل إلى أعلى، من عالم الحس إلى عالم المثل كذلك قوى النفس، أخسها القوة الشهوانية وأرفعها القوة العاقلة. ووظيفة العقل الذي يؤدي دور رسول عالم المثل، أن يسيطر على الشهوة والغضب لتكون سعادة الإنسان متوجهة نحو الخير المطلق. وهذه القوى نفسها يستخرج منها تقسيم طبقات المجتمع المثالي كما صوره أفلاطون في الجمهورية فالقوة العقلية هي طبقات الحكام والغضبية هي طبقة الجنود، والشهوانية التي تؤمن الغذاء والتكاثر هي طبقة العمال.

فلسفة السياسة عند أفلاطون:

بدأ أفلاطون فلسفته من السياسة ومن واقع الأفراد وواقع أخلاق الناس وانتهى بفلسفته إلى السياسة وإلى المجتمع وإلى الأخلاق ثانية. ولذا كانت أول قضية طرحها في كتابه "الجمهورية" ما اصطلح على تسميته بالمدينة الفاضلة هي قضية (العدالة) وكان السؤال الذي طرحه أفلاطون ما العدالة؟ مثاراً لإشكاليات في الأخلاق والمعرفة وفي الحقيقة وفي النفس الإنسانية والسياسة والتربية، مازالت مجالاً للدراسة والبحث والاجتهاد، ويعد أفلاطون أول من نبه إلى أهمية التربية في إحداث التغيير الاجتماعي وفي إعادة بناء المجتمع وبأن بناء الدولة يبدأ ببناء المواطن، وقد انتهى أفلاطون من مناقشة هذا الموضوع إلى أن العدالة هي التزام طبائع الأمور، وأنها

---

[1] محمد علي، ماهر: الفلسفة اليونانية، ص 188.

ليست أكثر من صدق المقال ورد مال للغير فهي انتفاء الظلم وعلى ذلك يرى أفلاطون بان من يحيا حياة العدالة هو سعيد ومبارك وعلى الضد من ذلك من يحيا حياة التعدي[1].

وقد انتهى أفلاطون إلى أن الفرد العادل هو ذلك الشخص الذي يوضع في الوضع المناسب له في مجتمعه أي في المكان الذي أعدته له الطبيعة منذ مولده. والمجتمع العادل في نظر أفلاطون هو ذلك المجتمع الذي تميز بالثبات ويتوافر فيه الانسجام بين أفراده بحكم أوضاعهم المناسبة لمعادنهم الأصلية، وأن البداية التي تحقق العدل الاجتماعي ممثلة في ذات الفرد كما وفقاً لقول أفلاطون "إن عدل الفرد هو التناسق والتكامل بين أجزائه، وهو أن كل عنصر فيه منسجم مع غيره من العناصر محتل مكانه اللائق به مؤدٍ عمله على أحسن درجة وفي أقصى اتزان وتوافق مع غيره من العناصر"[2].

ويشير الكسندر كواريه إلى أن موضوع البحث في الموضوع الرئيس لكتاب الجمهورية ليس هو الدولة من حيث هي كذلك، ومهما قيل في ذلك من نقد لاسيما النقد الألماني، فإن أفلاطون بريء تماماً من عبادة الدولة من تلك الكارثة التي حلت بالفكر الحديث، أو على الأقل ببعض الفكر الحديث. إن ما يشغل بال أفلاطون ليس هو الدولة وإنما الإنسان، ليس هو المدينة من حيث هي كذلك بل المدينة العادلة، أي المدينة التي يمكن أن يعيش فيها إنسان عادل، كسقراط، دون أن يخشى الحكم عليه بالنفي أو بالموت. هذه المدينة العادلة سيشيدها أفلاطون وهو يؤمن بقضية لها أهمية أساسية، هي الإنكار الجذري للفلسفة الاجتماعية السفسطائية، التي يعارضها سقراط، بمفهوم يمكن أن ندعوه لعدم وجود لفظ أفضل "عضوياً"[3] فالمدينة في الواقع ليست مجموعة أفراد وإنما هي تشكل وحدة واقعية وكائناً حياً "روحياً" ومن هذه الحقيقة ينشأ بين تكوينها وتركيبها وبين تركيب الإنسان تماثل يجعل من المدينة إنساناً حقيقياً كبيراً ومن المدينة جمهورية صغيرة. ونظراً لأن هذا التماثل يقوم على الاعتماد المتبادل بين الاثنين، فإنه من المستحيل دراسة الإنسان دون أن ندرس في الوقت نفسه المدينة التي هو جزء منها. فإن التركيب السيكولوجي للفرد والتركيب الاجتماعي للمدينة يتناظران بطريقة كاملة وبعبارة حديثة إن السيكولوجية الاجتماعية والسيكولوجية الفردية تتضمن إحداهما الأخرى[4].

تتضمن المدينة الفاضلة فكر أفلاطون السياسي، ورغم أن أفلاطون لم يشارك بالسياسة في وطنه أثينا، إلا أن الحكم بالإعدام على سقراط أقنعه أن الحكم الأثيني السياسي لم يكن ملائماً لا نظرياً ولا علمياً، ولذلك جاء بفكرة بناء مدينته الفاضلة، مدينة متكاملة متميزة بفئات ثلاث: فئة الحكام، والملوك والفلاسفة، وهي فئة قليلة

---

[1] أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار التراث بيروت، 1969، ص 44.

[2] الجيار: سيد إبراهيم: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1977، ص 64.

[3] لفظ (عضوي) يشير في الذهن التشابه الأحمق الذي كان شائعاً في القرن التاسع عشر بين المجتمع والكائن البيولوجي وما من شيء من هذا عند أفلاطون. –الكسندر كواريه–.

[4] كواريه، الكسندر: مدخل لقراءة أفلاطون، ترجمة عبد المجيد أبو النجا، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ، ص 129- 130.

جداً متميزة بعملها ومقدرتها وكفاءتها العقلية، وفضيلتها الحكمة الفلسفية، والفئة الثانية هي فئة الجنود والتي تتميز بأن روحها متوافقة مع فضيلة الشجاعة التي تميزها، والفئة الثالثة هي فئة العامة والتي تتكون منها معظم المدينة الفاضلة وهي فئة المنتجين العاملين في جميع حرفهم. وتتميز الفئة الأولى بسيطرة العقل والثانية بسيطرة العاطفة والثالثة بسيطرة الرغبة.

ولكن المهمة الصعبة هي كيف نوزع الأفراد كل في طبقته؟ يقول أفلاطون إن هذا واجب الدولة وعليها فرز الطبقات بطريقة عادلة، وأفلاطون لا يؤمن بأن الطبقات وراثية إذ ليس بالضرورة أن يكون ابن الحاكم حاكماً أو ابن العامل عاملاً.

ويتم ذلك بأن تراقب الدولة عقود الزواج ولا تسمح لفرد ما بالزواج قبل أن يصل إلى السن الصالحة لتحسين النسل، وقد حدد أفلاطون هذا السن من 20 إلى 40 للمرأة وهذا السن تشكل قمة النضج بالنسبة للمرأة، ومن 30 إلى 55 للرجل ذلك أن كل واحد منهما يكون في هذه الفترة في حالات الإخصاب. منع أفلاطون الزواج إن لم يقترن بشهادة صحية، كما منع زواج الأقارب وطالب بمعاقبة الأعزب قانونياً إذا امتنع عن الزواج دون عذر شرعي.

وعندما يولد الأطفال يجب أن يربوا بعيداً عن أهلهم، تتعهدهم الدولة منذ ولادتهم حتى فرزهم في الطبقات المناسبة. وإلى السادسة عشرة سنة تدرسهم الدولة الرياضة البدنية والموسيقى لتثقف أرواحهم. ثم يضاف إلى ذلك التنشئة الصحية وبعض الآداب من الشعر والنثر. وحتى العشرين من العمر يدرسون الدين والأخلاق. وفي هذه المرحلة تتوقف الدروس ويجرى لهم امتحان ومن يرسب فيه يلتحق بطبقة العمال حسب ميوله: أما الناجح فيكمل دراسته حتى سن الثلاثين حيث يدرس العلوم والرياضيات وتوقف الدروس من جديد ويجرى امتحان: الراسبون يلتحقون بطبقة الجنود أما الناجح فيكمل دراسته خمس عشرة سنة أصول الحكم فإذا ما نجح صار رجلاً كاملاً يحكم نفسه والآخرين، أما إذا رسب فيوضع في طبقة الجنود برتبة عالية. لم يميز أفلاطون بين امرأة ورجل فليس ما يمنع من تكليف النساء بالحراسة إذا ساوين الرجال في الكفاية لها فإن الأصل في الوظيفة أنها لخير المجموع وأنها تقلد للكفؤ دون أي اعتبار آخر. وإذن فنحن نكلف المرأة الاستعداد لكل أعمال الحراسة، تقوم بها ملتحفة فضيلتها، والغاية من أخذ النساء بهذه التربية هو أن يتوافر للدولة نساء ممتازات إلى جانب الرجال الممتازين ينجب منهم نسل ممتاز.

فالتربية في المدينة الفاضلة واحدة للجميع حتى الثامنة عشرة، وتكون سهلة لذيذة لأن الإكراه لا يكون للرجال الأحرار، وتكون فاضلة ويستبعد أفلاطون منها قصص هوميروس وهزيود ومن نحا نحوهم من الشعراء، فإنها مرذولة من حيث المادة والصورة، فقد أفسدت عقول اليونان. ويرى أفلاطون بنفي هؤلاء الشعراء خارج المدينة الفاضلة، لأنه طالب أو يحاكي الشعر الخير والأهواء الجميلة في الإنسان، لا أن يحاكي الأهواء الدنيئة.

ومع أن أفلاطون شاعر إلا أنه لم يشأ أن يستبقي من الشعراء غير الشاعر عفيف اللسان سديد الرأي هادئ النسق يحاكي الخير ليس إلا.

والسياسة عند أفلاطون هي العدالة في المدينة، كما أن الفضيلة هي العدالة في الفرد ولذلك يفتتح القول في "الجمهورية" بالرد على السفسطائيين، بأن العدالة قائمة على الطبيعة لا على العرف، وغرضه أن يبني مدينته على أساس من العدالة متين. وللعدل مفاهيم ناقصة عند أفلاطون، وأحياناً يكتسب معنى خاطئاً عندما يفهمه البعض في أن نحسن إلى أصدقائنا ونسيء إلى أعدائنا. وهذا خطأ عظيم فالإنسان العادل لا يسيء إلى أحد وإن كان عدوه. والعدالة هي أن يحكم الفيلسوف الدولة ونقيض العدالة أن لا يكون الحاكم فيلسوفاً. فالفيلسوف باعتباره أول، رجل طهر من أدران الجسد وأصبح لا يعيش إلا بروحه، فهو لا يخاف الموت ولا يخشى الردى، ما دامت روحه قد انفصلت عن جسده منذ حياته في هذا العالم، وباعتبار ثان، هو إنسان بعيد عن المهارة العملية فلا يجاري الناس ولا يتملقهم ولا يداريهم ولذا فإن تأثيره الاجتماعي يظل ضعيفاً أو معدوماً. وباعتبار ثالث يبدو الفيلسوف– على العكس– سيد المجتمع، ورئيس الدولة. أو أنه مفتش من نوع خاص: إنه يرغب في إنقاذ نفوس المواطنين وسلام أرواحهم، فيحرص أن يتمسكوا بالإيمان بآلهة المجتمع أو يزجهم في السجن المؤبد والفيلسوف، باعتبار أخير، رجل نشيط حازم ملهم يأتيه الروح المبدع الجميل من لدن (آيروس) آلهة الحب فلا ينتج إلا في جو من الجمال[1].

يقول أفلاطون: لا يمكن زوال تعاسة الدول، وشقاء النوع الإنساني، مالم يملك الفلاسفة أو يتفلسف الملوك والحكام، فلسفة صحيحة تامة، أي ما لم تتحد القوتان السياسية والفلسفية في شخص واحد ومالم ينسحب من حلقة الحكم الأشخاص الذين يقتصرون على إحدى هاتين القوتين، فلا تبرز الجمهورية التي صورناها، في بحثنا إلى حيز الوجود، ولا ترى نور الشمس[2].

وحقيقة العدالة بأجلى مظاهرها، هي ألصق بحياة الإنسان الداخلية، ومصالحه الجوهرية، منها بمظاهر حياته الخارجية وصورة عمله السطحية. فلا يدع العادل قواه الروحية تتجاوز حدود اختصاصها وتتدخل في اختصاص غيرها. وأن المعرفة الصحيحة التي تسيطر على تصرف كهذا هي "الحكمة"[3].

مضادات الدولة العادلة في سياسة أفلاطون:

في كتاب الجمهورية حاول أفلاطون أن يعالج في بعض الفصول أضداد الدولة العادلة، وقد حدد مضادات المدينة العادلة بأربع دول لا تتبع العدل بل تنحرف عنه وتورث حكماً سيئاً وخيم العواقب، فالدول غير

---

(1) العوا، عادل: المذاهب الفلسفية، منشورات جامعة دمشق، مطبعة جامعة دمشق، دمشق 1992، ص 35.

(2) أفلاطون: جمهورية ، ترجمة حنا خباز، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969، ص 174.

(3) المرجع نفسه، ص 205.

العادلة جاءت من الأفراد غير العادلين المتحدرين عن الفرد العادل الذي أهمل نفسه وترك قوته الغضبية أو الشهوانية تتحكم به، فهو بدأ يسير نحو الهلاك وهؤلاء الأفراد يتكاثرون ويسلسلون أربع دول غير عادلة هي:

1- الدولة التيمقراطية أي دولة الجاه والنفوذ.

2- الدولة الاوليغارقية أي حكم الأثرياء الذين يحكمون بغناهم المادي.

3- الدولة الديمقراطية أو حكم الشعب الفوضوي دون موجه.

4- الدولة الاستبدادية أو حكم الطغيان والظلم والمصلحة الشخصية.

وأما تصنيفه للدولة الديمقراطية بأنها من مضادات الدولة فيبرره أفلاطون بأن هذه الدولة لم تضع حدوداً لدخل الأفراد فغرق الناس في الديون وعم الفقر، وطبقة الفقراء هذه تصاب بالحرمان فتعتمد على الأقلية الغنية فيثور الفقراء على الحكام ويستبيحون قتلهم، ويصبح الحكم معمماً للجميع حيث لا نظام بل فوضى كاملة. ويقرر أفلاطون أن هذه الدولة قد تبدو صاحبة أجمل نظام، فالفوضى معممة والجميع يتصرفون على هواهم لا آمر ولا مأمور، حتى المجرم يسرح بحرية لأن القانون لا يجرؤ أن يطاله. هذه الدولة الديمقراطية لا تهتم بالمبادئ ولا بالنظام بل تدعي المساواة بين المستحقين وغير المستحقين، وهذا ظلم، وبنفس القدر يكون الظلم إذا جعلت صوت الفيلسوف في الانتخاب معادلاً لصوت الجاهل، وعلى هذا فالديمقراطية لا تحقق العدالة مع أن شعارها الحرية والمساواة المطلقة دون اعتبار لقيم الرجال. ويبرز من بين دعاة الديمقراطية وحماة الشعب من هو أشدهم عنفاً وأكثرهم دهاء، فيقسم الأراضي ويؤلف لنفسه حامية يتقي بها شر المؤامرات فيتخبط به الشعب ويستأثر هو بالسلطة، ولكي يمكن لنفسه ويشغل الشعب عنه ويديم الحاجة إليه، يشهر الحرب على جيرانه، بعد أن كان قد سالمهم ليفرغ إلى تحقيق أمنيته في الداخل، ويقطع رأس كل منافس أو ناقد، ويقصي عنه كل رجل فاضل، ويقرب إليه جماعة من المرتزقة والعتقاء ويجزل العطاء للشعراء الذين نفيناهم من مدينتنا فيكيلون له المديح. فينهب الثروات ويعتصر الشعب ليطعم حراسه وأعوانه، فيدرك الشعب أنه انتقل من الحرية إلى الطغيان[1]. هذا بالإضافة إلى أن سقراط قد أعدم نتيجة للحكم الديمقراطي الذي طغت فيه أصوات الجهلاء على أصوات الحكماء.

وهكذا فقد بقي أفلاطون وفياً لمنطقة النخبوي فكما اعتبر الفلاسفة نخبة المجتمع، كان يرى أن نظام الحكم الأرستقراطي هو أفضل نظام للحكم كما أنه أعطى للدولة سلطة مطلقة على المواطنين، حيث دعا إلى مشاعية الملكية والنساء والأطفال، فكل شيء يجب أن يخضع لتصرف الدولة[2].

وقد تراجع أفلاطون عن بعض أفكاره في نهاية حياته، ولاسيما التشريعات المشاعية كشيوعية النساء والأولاد، ورأى أن من الواجب أن يكون للدولة دستور، وهذه الفكرة هي أصل كتاب "القوانين" الذي آخر

---

[1] محمد علي، ماهر: الفلسفة اليونانية، ص 210- 211.

[2] جاك، مانتوي: مختصر تاريخ الفلسفة، ص 22.

وأوسع كتب أفلاطون، وموضوعه التشريع لتحقيق المثل الأعلى للمدينة كما رسمته "الجمهورية" لكن مع مراعاة طاقة الإنسان ومقتضيات الحياة، ولكنه ظل مخلصاً حتى آخر أيامه لفكرة قيادة الدولة من طرف الفلاسفة فقط.

المراجع:

1- أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار التراث، بيروت، 1969.

2- أفلاطون: محاورة فيدون، ترجمة النشار وعباس الشربيني، القاهرة، بدون تاريخ.

3- الجيار: سيد إبراهيم: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1977.

4- الجيوشي، فاطمة: فلسفة التربية، ط3، منشورات جامعة دمشق، دمشق 1994.

5- العوا، عادل: المذاهب الفلسفية، منشورات جامعة دمشق، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1992.

6- كواريه، الكسندر: مدخل لقراءة أفلاطون، ترجمة عبد المجيد أبو النجا، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ.

7- مانتوي، جاك: مختصر تاريخ الفلسفة، ترجمة المختار بنعبدلاوي، دار معد، دمشق. 1998.

8- محمد علي، ماهر: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، مكتبة كريدية إخوان، بيروت، 1984.

9- النجار، رمزي: الفلسفة العربية، دار الآفاق، بيروت، 1979.

10- هويدي، يحي: مقدمة في الفلسفة العامة، القاهرة، 1956.